ذاتها، من جهة، ومبادرة لنقل مركز الثقل في الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني الى داخل الوطن المحتل، واعطاء قيادة م.ت.ف. المجال للتحرك، في ضوء معطيات الانتفاضة ومتطلباتها. وعليه، فان طرح مبادرة السلام لم يولد من فراغ، أو بناء على رغبات وتمنيات، بل انه جاء في سياق عوامل موضوعية، هي المتغيّرات الدولية والظروف والنتائج التي حققتها الانتفاضة، والتي أدّت الى احداث تقديرات جديدة لدى قيادة م.ت.ف. في ضوء توفّر معلومات ووعود دولية.

ان التقليل من شأن المبادرة السلمية الفلسطينية، ومن تأثيرها في الصعيدين، الدولي والاسرائيلي، يوازي في خطورته تضخيم هذا التأثير، وتصوير المجتمع الاسرائيلي كأنه على شفير الهاوية، أو ان تأثير المبادرة الفلسطينية أدّى الى انشقاق حادّ في هذا المجتمع والى تعاظم دور قوى السلام فيه على نحو سيؤدي، قريباً، الى دفع اليمين الى الزاوية.

بعد مرور أكثر من تسعة عشر شهراً على الشروع بمبادرة السلام الفلسطينية، استجدت أمور كثيرة وحلّت مرحلة أملتها العوامل الدولية والاقليمية، ممّا يستدعي، بالتالي، تقويم عناصر هذه المبادرة على نحو يحفظ حيويتها وقدرتها التكتيكية على مهاجمة النقاط المعادية. ولاجراء عملية التقويم هذه، ينبغي الأخذ في الاعتبار القدرة الذاتية، أولاً، والقدرة العربية ثانياً، والمتغيّرات الدولية. وعلى صعيد هذه الأخيرة، تتميّز التحوّلات المتسارعة في دول المنظومة الاشتراكية (الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه) نحو الانشغال بالقضايا الداخلية على حساب الدور المعهود لهذه الدول في المعادلة الدولية، وبالتالي استُبدلت المعايير، ولم تعد الايديولوجيا هي الأساس في السياستين، الداخلية والخارجية، بل المصالح المحلية والاقليمية.

وأبرز الأمثلة على هذا التبدل هو فتح باب هجرة اليهود السوفيات، على نحو يتناقض مع أبسط قواعد التحالف والصداقة، التي تمّ ارساء أسسها بين م.ت.ف. والاتحاد السوفياتي، من ناحية، وبين نهج الاتحاد السوفياتي السابق ونهجه الجديد، من ناحية أخرى.

ان التحوّلات الدولية الراهنة، بما تحمله من تبدلات كونية كبيرة، ستترتب عليها خارطة العالم السياسي مستقبلاً، وستكون مؤشراً الى ان ثمّة مرحلة تاريخية بدأت بالانطواء، وثمّة مرحلة جديدة آخذة بالتشكّل.

ومن نافل القول ان هذه التحوّلات حملت معها تحديات طاولت القضايا الدولية عموماً، وقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي خصوصاً. وقد انعكس هذا، بدوره، على مسيرة السلام الفلسطينية التي باتت تواجه ثلاثة أبعاد هامّة: الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، وهجرة اليهود السوفيات، وازدياد الرفض الاسرائيلي لكافة مبادرات السلام الدولية لاحلال السلام في المنطقة.

لقد شكّل بدء الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، بحدّ ذاته، مكسباً وطنياً؛ اذ تأكد، من خلاله، وصول السياسة الاميركية الى درجة لم تعد قادرة على تجاهل وجود م.ت.ف. ومدى تأثيرها. وعلى الرغم من ان بعض التصريحات الفلسطينية، ومن مواقع الحرص الوطني، طالب برفع مستوى الحوار ـ اميركياً ـ وضرورة قطف ثماره سريعاً، فان أياً من تلك الاصوات، لم يطالب بوقفه، ذلك ان القوى السياسية الفلسطينية، رأت فيه انعكاساً لموازين قوى قائمة سمحت ببدئه، وبالمستوى والآفاق التي توضحت من خلال جلساته، والتي أكدت، بدورها، عدم حرص الولايات المتحدة الاميركية على رفع سويّته، واتخاذها الحوار أداة ضغط على المنظمة، تلوّح بها كلما دعت الحاجة الى ذلك.

لذا، فانه يمكن القول، ان تراكماً جديداً للانجازات الفلسطينية السياسية، والعسكرية،